تقصیر اللغة عن تعیین المعانی القرآن الکریم

سعید احمد*

For aspecific undrstanding and interpretation of the Holy Quran, Arabic language is not enough but other verses of the Holy Quran of the same content, sunnah of the prophet and the resons of the revelation are of great importance too. So in this article we have tried our best with solid arguments to prove that to understand the Quranic verses is not possible only with the help of arabic lexicon but other sources are of great importance too.

الحمد للّٰه رب العالمین والصلوة والسلام علیٰ سید المرسلین، وأنزل علیٰ خاتم النبیین کتابا، بلسان عربی مبین، وعلیٰ اله وصحبه أجمعین۔

وبعد!فأن القرآن کتاب سماویٌّ والٰهیٌّ حیث لا یمکن للفرد أن یستنبط معانی القرآن الکریم دون مراعاة اللّغة وما یدور حولها من مجاز واستعارة وکنایة وبقیة روافد فنیّة بلاغیَّة وهکذا لایستطیع أن یحدّد المعانی القرآنیة حسب عقله وفکره بل لا بد أن یلجأ الی الاستخدام اللغوی الجاری فی ذٰلك الوقت والٰی الاستعمالات اللغویة الشعریة وما طرأ فیها من تغییرات وتبدیلات فی هذاالصدد فضل عما فسره النبیُّ ﷺ وذلك أن النبی فسّر القرآن وشرحه للناس ما استعصیٰ علیهم من غموض وإبهام حیث لا یوجد مجال الی الاستدلال بأقوال أهل اللغة وغیرهم فیما فسره کماقال اللّٰه تعالیٰ:

﴿وَمَا یَنْطِقُ عَنِ الْهَوٰیo اِنْ هُوَ اِلَّا وَحْیٌ یُّوحیٰ﴾(۱)

وَیقول شیخ الاسلام : ومما ینبغی أن یعلم أن الالفاظ الموجودة فی القرآن والحدیث اذا عرف تفسیرها وما أرید بها من جهة النبی ﷺ لم یحتج فی ذٰلك الی الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولا غیرهم ولهذا قال الفقهاء، الاسماء ثلثةُ أنواعٍ۔

نوع یعرف حدّ ہٗ با لشرع کالصلوة والزکاة

ونوع یعرف حدّہٗ باللغة کالشمس والقمر

ونوع یعرف حدہٗ بالعرف کلفظ القبض ولفظ المعروف(۲)

* لیکچرر، گورنمنٹ پوسٹ گریجوایٹ کالج، چناب نگر، چنیوٹ

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

ومـن ثـم تـعتبـر لـغة الـقرآن الكريم من أهم الادوات لفهمه وتفسيره ولا يصح فهمه وتـفسيـره إلا بطريق فهم اللسان الذى نزل فيه ولذا يجب على المفسّر ان يكون على معرفة تامّة لقواعد اللغة العربيّة واصولها ودلالاتها۔

اذ وجدت فى عصر نا الحاضر بأن هناك ناس غير متثقفين وليس لهم المامٌ باللّغة العربية كما ليس لهـم الاطلاع الواسع على معرفة هذه الروافد اللغوية وبدوأ يُدلون بدلوهم فى تفسير القرآن الكريم علىٰ أساس فكرهم الخاص ورأيهم الفرى اذ لا علاقة له بما يتمثل المعنىٰ فى رأيه الكريم

فـقـد تـعـرّض لهذا الموضوع العلماء قديما وحديثا ووضعوا قوانين صارمة فى هذاالصدد كما قال الشاه ولى اللهؒ:

"وأما لغة القرآن فينبغى أخذها من استعمال العرب الاول ولكن الاعتماد الكلىّ علىٰ اثار الصحابة والتابعين۔"(۳) وقال شيخ الاسلامؒ:

"وأما تفسير القرآن بمجرّد ما يحتمله اللّفظ المجرد عن سائر ما يبيّن معناه فهذا منشأ الـغـلـط مـن الغالطين، لا سيما كثيرا ممن يتكل فيه با حتمالات لغوية فان هؤلاء أكثر غلطًا من المفسرين المشهورين فانهم لا يقصدون معرفة معنا ه كما يقصد ذلك المفسرون"(٤)

وقـال ابـن الـقيـمؒ:"لـلقرآن عرف خاص ومعان معهودة لا يناسبه تفسيره بغيرها، ولا يجوز تفسيره بغيرعرفه والمعهود من معانيه فهذا أصل من أُصوله بل هو أهم أُصوله۔"(٥)

مفردات القرآن فى حصر اللغة لأداء المفهوم الأوسع أراده القرآن

بـعـض الـكـلـمة يستـعمل فى معان متعددة حسب مقامه في القرآن الكريم۔ الكلمة تستـعـمـل فـى هـذا المقام فى معنى وفى الآخر فى معنى آخر۔ حينئذ لا يتعين المعنى باللغة بل بمفهوم القرآن وسياقه۔ كما ذكر شيخ الاسلامؒ على قول الله عزوجل :

﴿ادْعُـواْ رَبَّـكُـمْ تَـضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِيْنَ oوَلاَ تُـفْسِدُواْ فِيْ الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيْبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِيْنَ o﴾(٦)

هـاتـان الايتـان مشتملان على آداب نوعى الدعا ـ دعاء العبادة و دعاء المسئلة۔ فإن الـدعـاء فـي القرآن يراد به هذا تارة وهذا تارةً ويراد به مجموعهما۔ وهما متلازمان ـ فإن دعاء الـمسـئـلة هو طلب ما ينفع الداعى وطلب كشف ما يضره و دفعه وكل من يملك الضر والنفع فانه هو المعبود ـ لا بدّ ان يكون مالكاً للنفع والضر۔

وهـذا كثيـر فـي القرآن يبين تعالى أن المعبود لا بدّ ان يكون مالكا للنفع والضر، فهو

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

يدعو للنفع والضر ـ دعاء المسألة ويدعو خوفاً ورجاءً دعا العبادة فعلم أن النوعين متلازمان فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة۔

وعلى هذا فقوله تعالىٰ :﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِيْ عَنِّيْ فَإِنِّيْ قَرِيْبٌ أُجِيْبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيْبُوْا لِيْ وَلْيُؤْمِنُوْا بِيْ لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُوْن﴾(۷)

يتناول نوعى الدعاء وبكل منهما فسرت الاية ـ قيل أعطيه إذا سألنى وقيل أثيبه إذا عبدنى۔ والقولان متلازمان وليس هذا من إستعمال اللفظ المشترك فى معنييه كليهما او إستعمال اللفظ فى حقيقته و مجازه بل هذا استعماله فى حقيقته المتضمنة للامرين جميعاً۔

فتأمله فإنه موضوع عظيم النفع۔ وقل ما يفطن له واكثر آيات القرآن دالة على معنيين فصاعداً فهى من هذا القبيل۔مثال ذلك قوله تعالى:

﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾(۸)

فسر "الدلوك" بالزوال وفسر بالغروب ـ وليس بقولين بل اللفظ يتناولهما معاً فان الدلوك هو الميل ودلوك الشمس ميلها ولهذا الميل مبتدأ ومنتهى ، فمبتداه الزوال ومنتهاه الغروب واللفظ متناول لهما بهذا الاعتبار۔

ومثاله أيضاً تفسير "الغاسق" بالليل۔ وتفسيره بالقمر۔ فان ذلك ليس بإختلاف بل يتناولهما لتلازمهما۔ فان القمر آية الليل ونظائره كثيرة۔(۹)

الاصطلاحات الشرعيّة معرفتها موقوفة على الشرع

القرآن اوّل كتاب دوّن فى اللّغة العربية وهو واضع النثر الفنى ومنبع المعانى والاساليب والمعارف التى شاعت فى ادب ذلك العصر، نزل باسلوب بديع لاعهد للأذان ولا للاذهان بمثله۔(۱۰)

ومن اثاره أنه حول العربية إلى لغة ذات دين سماوى وبذلك أحل فيها معانى لم تكن تعرفها من قبله ولا كانت تعرف العبارة عنها۔ وعادة يقف مؤرخو الادب عند الفاظ إبتدإها إبتداء مثل۔

الفرقان، والكفر والايمان والشرك ،الاسلام والنفاق والصوم والصلوة والزكاة والتيمم والركوع والسجود ، الجنة، الجحيم ، النسك ، الملئكة ، التزكية، الآخرة ولكن من الحق أن المسألة لم تكن مسألة ألفاظ فحسب انما كانت ايضاً مسألة دين جديد له مضمونه الذى لم يكن العرب يعرفونه۔

فالمراد بهذه المعانى الشرعية او الحقائق الشرعية هنا۔ أن الشارع يستعمل بعض

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

الالفاظ إستعمالاً خاصاً فیوردها مقیدة فتدل علی معین یرید به الشارع۔

وهذا کلفظة الصلاۃ، والصیام والحج ونحو ذلك ۔ فانها تطلق ویراد بها تلك العبادات المعروفة مع أن لهذه الالفاظ معانٍ أخری فی أصل وضعها اللغوی۔ فالصلوة معناها فی اللغة الدعاء والصیام معناه الامساك والحج بمعنی القصد۔

وبذلك یعلم أن الشارع ینصرف فی الاسماء اللغویة بالتقیید تارة وبالتعمیم تارة وبا التخصیص تارةً۔قال شیخ الاسلامؒ :

" والتحقیق أن الشارع لم ینقلها یعنی الاسماء الشرعیة ولم یغیرها ولکن استعملها مقیدة لا مطلقة کما یستعمل نظائرها کقوله تعالی :

﴿وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيْلًا﴾(۱۱)

فذکر حجاً خاصاً وهو حج البیت۔ وکذلك قوله تعالی :﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ﴾(۱۲)

فلم یکن لفظ الحج متناولاً لکل قصد بل لقصد مخصوصٍ دلّ علیه اللفظ نفسه من تغییر اللغة۔(۱۳) وعلیه یقال :"إن الفقهاء أعلم بالتاویل من أهل اللغة" (۱٤)

الکلمات التی لا تدرك اللغة کنهها بظاهر الکلام

۱۔الوجوه و النظائر

قا ل الامام الزرکشی:

"الوجوه" اللفظ المشترك الذی یستعمل فی عدة معان کلفظ الأمة۔

"النظائر" کالالفاظ المتواطئة۔

قیل النظائر فی اللفظ والوجوه فی المعانی وضعّف۔ لانه لو أرید هذا لکان الجمع فی الالفاظ المشترکة، وهم یذکرون فی تلك الکتب اللفظ الذی معناه واحد فی مواضع کثیرة فیجعلون الوجوه نوعاً لا قسام والنظائر نوعاً آخر کالامثال۔

وقد جعل بعضهم ذلك من أنواع معجزات القرآن حیث کانت الکلمة الواحدة تتصرف إلی عشرین وجهاً أو اکثر أو اقلّ۔ ولا یوجد ذلك فی کلام البشر"۔ (۱۵)

"والامام یذکر تحت هذا العنوان کلمات ذوجهات کثیرة۔ کل کلمة تستعمل فی عدة معانٍ حسب سیاق الآیة ومقامه من الکلام بل فوق ذلك أن الکلمة الواحدة تتصرف إلی عشرین وجهاً او اکثر۔ ولیس فی استطاعة البشر أن یحوز مثل هذا الاعجاز فکیف یحیطه لغوی ویدرك کنه الکلمة مع ان امامه ظاهر الکلام۔

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

وذكر مقاتل فى صدر كتابه حديثا مرفوعًا لا يكون الرجل فقيهاً كل الفقه حتى يرىٰ للقرآن وجوهاً كثيرةً۔ فمنه الهدى سبعة عشر حرفاً۔

الهدىٰ بمعنى البيان ، الدين ، الايمان ، الداعى ، الرسل ، الكتب ، المعرفة ، الرشاد بمعنى محمد ﷺ ، بمعنى القرآن ،وبمعنى التوراة الاسترجاع، الحجة ، التوحيد ، السنة ، الاصلاح ، الالهام وبمعنى التوبة وذكرالامام لكل معنى شاهداً من آية القرآن الكريم"۔ (١٦)

ونقل الامام الزركشى رحمه الله من كتاب الافراد لابن فارس:

كلمات يستعمل فى جميع القرآن فى معنى واحدٍ إلا في موضع من الكلام هو نفس الكلمة يؤدى معنىً غير ذلك هو يناسب سياق الآية ۔ وهذا من لطائف كلام الله وإعجازه۔ وإليك بعض النماذج۔

الأمثلة التطبيقية:

١ كل ما فى كتاب الله من ذكر الأسف فمعناه الحزن كقوله تعالى فى قصة يعقوب عليه السلام فى آية ٨٤ من سورة يوسف :﴿يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُف﴾

إلا قوله تعالى: ﴿فلما أسفونا﴾ فان معناه أغضبونا۔

٢ وكل ما فى القرآن من ذكر البروج فإنها الكواكب كقوله تعالى فى آيه ١ من سورة البروج: ﴿وَالسَّمَاء ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾

الا في سورة النساء فى آية ٧٨: ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِيُ بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾

فإنها القصور الطوال ، المرتفعه في السماء ، الحصينة۔

٣ وما فى القرآن من ذكر "البرّ والبحر" فإنه يراد بالبحر الماء وبالبر التراب اليابس غير واحد فى آية ٤١ من سورة الروم: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِيُ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾

فانه بمعنى البريّة والعمران۔

٤ والبخس فى القرآن النقص مثل قوله تعالى فى ايه ١٣ من سورة الجن :

﴿فَلَا يَخَافُ بَخْساً وَلَا رَهَقا﴾

الا حرفاً واحد فى سورة يوسف: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾

فإن أهل التفسير قالوا "بخسً حرامً"

٥ وما كان فى القرآن من ذكر البكم فهو الخرس عن الكلام بالايمان كقوله تعالى فى آيه من سورة بقرة: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ﴾

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

انـمـا اراد "بـكـم" عن النطق والتوحيد مع صحة ألسنتهم الا حرفين۔ احدهما فى آية ۹۷من سورة بنى اسرائيل: ﴿عُمْيًا وَبُكْماً وَصُمّاً﴾

والثانى فى آية ۷٦من سورة النحل قوله عزوجل : ﴿أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ﴾

فإنها فى هذين الموضعين اللذان لا يقدران على الكلام ۔

٦ وكـل شهيد فى القرآن غير القتلى فى الغزو ۔ فهم الذين يشهدون على امور الناس الا التى فى آية ۲۳ من سورة البقرة قوله عزوجل: ﴿وَادْعُواْ شُهَدَاء كُم﴾

فإنه يريد شركاء كم۔

۷ وكـل صـلـوة فـى القرآن فهى عبادة ورحمة الا قوله تعالى فى آية ٤٠ من سورة الحج: ﴿وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِد﴾

فإنه يريد بيوت عباداتهم۔

۸ وكل كنز فى القرآن فهو المال، الا الذى فى آية ۸۲ من سورة الكهف: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا﴾

فإنه اراد صحفاً و علماً۔

۹ وكل صوم فى القرآن فهو الصيام المعروف الا الذى فى آية ۲٦ من سورة مريم: ﴿إِنِّىْ نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً﴾ يعنى صمتاً۔

۱۰ الانـفـاق حيـث وقـع فـى الـقـرآن فهـو الـصدقة إلى قوله تعالىٰ فى آيه ۱۱ من سورة الممتحنة: ﴿فَآتُوا الَّذِيْنَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا﴾

فإن المراد به المهر وهو صدقة فى الاصل، تصدق الله بها على النساء۔ (۱۷)

تعرض النبى ﷺ والصحابه والتابعون بشئى من هذا النوع:

ذكـر الامـام السيـوطـى رحـمه الله آثارً مسنداً من عدة كتب الحديث فيه ذكر امثال بشئى من هذا النوع۔

۱ فـاخـرج الامام احمد فى مسنده وابن ابى حاتم وغيرهما عن ابى سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ قال ((كل حرف فى القرآن يذكر فيه القنوط فهو الطاعة))۔

۲ قـال الفريابى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: " كل تسبيح فى القرآن صلاة وكل سلطان فى القرآن حُجة"۔

۳ وأخـرج ابـن الانبـارى عـن ابن عباس رضي الله عنهما قال "كل ريبٍ شك إلا مكاناً

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

واحدً فى الطور ﴿ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾(١٨) يعنى حوادث الامور۔

٤ وأخرج ابن ابى حاتم وغيره عن ابي بن كعب قال "كل شئى فى القرآن من الرياح فهى رحمة و كل شئى فيه من الريح فهو عذاب"۔

٥ وأخرج عن سعيد بن جبير رضي الله عنه قال "العفو فى القرآن على ثلاثة أنحاءٍ۔ نحو تجاوز عن الذنب و نحو فى القصد فى النفقة ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾(١٩)ونحو فى الاحسان فيما بين الناس ﴿إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِىْ بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ﴾ (٢٠)۔

٦ وقال الراغب فى مفرداته قيل كل شئى ذكره الله بقوله ﴿وما أدراك﴾ فسّره ، و كل شئى ذكره بقوله ﴿وما يدريك﴾ تركه۔ وفى ذلك نكتة لطيفة۔(٢١)

٢۔تداخل الاصول اللغوية وأثره في بناء المعجم

تعريف التداخل:

يقول عبد الرزاق الصاعدى: التداخل فى الاصول عبارة عن إلتباس أصل۔

وهو موضوع نبه إليه ابن جنى فى الخصائص۔ عقد له مبحثاً خاصاً قرّر فيه أن غالب اللغة لا تداخل فى أصولها۔

أما التداخل فهو عبارة عن خلط الاصول بعضها ببعض و كانها أصل واحد۔ أما احتمالات اللفظ لاكثر من اصلٍ فليس من التداخل۔ (٢٢)

الفرق بين أصل الصرفى وأصل المعجمى:

بين تحديد الاصل عند الصرفى وتحديده عند المعجمى۔فرق ذلك أن الصرفى يضع فى حسابه المعنى فى حين يفتقر المعجمى على صورة اللفظية إذا الامر راجع إلى اعتبار الاشتقاق والمعتدبه عند الصرفى وهو ما يسمى الاشتقاق الصغير۔ (٢٣)

ومن المعلوم ومن الثابت عند علماء اللغة أن لكل كلمة وما تفرغ عنها أصلاً واحداً فحسب بيدأن ثمه أصولاً يصعب حصرها۔

التداخل: وأعنى بذلك أن الكلمة الواحدة قد يتوارد عليها أصلان أو اكثر فما يؤدى الى التداخل مع أصلها الحقيقى فيلتبس الاصلان أو اصول۔

الأمثلة التطبيقية:

١ فكلمة "المدينة" يتوارد عليها أصلان ثلاثيان۔ فيتداخلان وهما

"م،د،ن" و "د،ى،ن"

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

٢ ويتداخل فى كلمة "الرمان" أصلان۔ وهما:

"رم،م" و "ر،م،ن"

وأما كلمة القرآن فإنها تحتمل ثلاثة أصولٍ:

"ق،ر،أ" و "ق،ر،ى" و "ق،ر،ن"

٣ المثال التطبيقى للتداخل:

تغير معنى الكلمة بسبب التداخل۔ وما ترتب عليه من عدم إدراك السامع مراد المتكلم۔

ما جاء فى الحديث المرفوع: "ان قوماً من جهنية جاؤوا الى النبى ﷺ باسير وهو يرعد من البرد۔ فقال أدفوه فذهبا به فقتلوه فوداه النبى ﷺ وإنما أراد أدفئوه من البرد وهو من "د،ف،أ"۔ فالتبين فإصل آخر من "د،ف،و" ۔ ومنه قوله دفوت الجريح ادفوه دفواً إذا أجهزت عليه۔ (٢٤)

معرفة التداخل:

ويقول الامام السيوطى تحت هذا عنوان"معرفة تداخل اللغات":

قال ابن جنى فى الخصائص اذا اجتمع فى الكلام الفصيح لغتان فصاعدا كقوله:

وأشرب الماء ما بى نحوه عطش الا لانّ عيونه سال واديها

فقال نحوه بالاشباع وعيونه بالاسكان فينبغى أن يتأمل حال كلامه فان كانت اللفظتان فى كلامه متساويتين فى الاستعمال كثرتهما واحدة فأخلق الامر به أن تكون قبيلته تواضعت في ذلك المعنى على ذينك اللفظين لانّ العرب قد تفعل ذلك للحاجة اليه في أوزان أشعارها وسعة تصرف أقوالها ويجوز أن تكون لغته في الاصل احداهما ثم إنه استفاد الاخرى من قبيلة أخرى وطال بها عهده وكثر استعماله لها فلحقت لطول المدة واتساع الاستعمال بلغته الاولى وان كانت احدى اللفظتين أكثر كلامه من الاخري فأخلق الامر به أن تكون القليلة الاستعمال هى الطارئة عليه والكثيرة هى الاولى الاصلية ويجوز أن تكونا مخالفتين له ولقبيلته وانما قلت احداهما فى استعماله لضعفها فى نفسه وشذوذها عن قياسه ۔ وإذا كثر على المعنى الواحد ألفاظ مختلفة فسمعت فى لغة انسان فعلى ما ذكرناه كما جاء عنهم فى أسماء الاسد والسيف والخمر وغير ذلك وكما تتحرف الصيغة واللفظ واحد كقولهم رغوة اللبن ورغوته ورغوته ورغاوته ۔ كذلك مثلثا وكقولهم جئت من عل ومن عل ومن علا ومن علو ومن علو ومن علو ومن عال ومن معال فكل ذلك لغات لجماعات وقد تجتمع لأنسان واحد۔

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

قال الاصمعي: اختلف رجلان فى الصقر ـ فقال أحدهما بالصاد وقال الأخر بالسين ـ فتراضيا بأول وارد عليهما فحكيا له ما هما فيه فقال لا أقول كما قلتما انما هو الزقر وعلى هذا يتخرج جميع ما ورد من التداخل نحو قلايقلى وسلى يسلى وطهر فهو طاهر وشعر فهو شاعر ـ فكل ذلك انما هو لغات تداخلت فتركبت بأن أخذ الماضي من لغة والمضارع أوالوصف من أخرى لا تنطق بالماضى ـ كذلك فحصل التداخل والجمع بين اللغتين ـ فإن من يقول قلى يقول فى المضارع يقلى يسلو ومن يقول فيه يسلى يقول في الماضي سلى فتلا قي اصحاب اللغتين ، فسمع هذا لغة هذا وهذا لغة هذا ـ فأخذ كل واحد من صاحبه ماضيه الى لغته فتركبت هناك لغة ثالثة وكذا شاعر وطاهر إنما هو الشعر وطهر بالفتح وأمّا بالضّم فوصفه على فعيل فالجمع بينهما بالتداخل ـ انتهى كلام ابن جنى ـ

وقال ابن دريد فى الجمهرة:البكا يمدو يقصر فمن مده أخرجه مخرج الضغاء والرغاء، ومن قصره أخرجه مخرج الآفة وما أشبهها مثل الضنى ونحوه وقال قوم من أهل اللغة بل هما لغتان صحيحتان وأنشدوا ببيت حسان:

بكت عينى وحق لها بكاها وما يغنى البكاء ولا العويل

وكان بعض من يوثق به يدفع هذا ويقول لا يجمع عربى لفظين ـ أحدهما ليس من لغته فى بيت واحد وقد جاء هذا فى الشعر الفصيح كثيرا ـ انتهى ـ

وقال ثعلب فى أماليه:

يقال فضل يفضل وفضل يفضل وربما قالوا فضل يفضل ـ

قال الفراء وغيره من اهل العربية فعل يفعل لا يجئى في الكلام الا فى هذين الحرفين مت تموت فى المبعتل ودمت تدوم وفى السالم فضل يفضل أخذوا من لغة من قال يفضل وأخذوا يموت من لغة من قال يفضل ولا ينكران يؤخذ بعض اللغات من بعض ـ

وقال ابن درستويه فى شرح الفصيح يقال حسب يحسب نظير علم يعلم لانه من بابه وهو ضده فخرج على مثاله وأما يحسب بالكسر فى المستقبل فلغة مثل ورم يرم وولى يلي ـ

وقال بعضهم يقال حسب يحسب على مثال ضرب يضرب مخالفة للغة الاخرى ـ فمن كسر الماضي والمستقبل فانما أخذ الماضى من تلك اللغة والمستقبل من هذه فانكسر الماضى والمستقبل لذلك ـ وقال فى موضع آخر شملهم الامر يشملهم لغات ـ فمن العرب قوم يقولون شمل بفتح الميم من الماضى وضمها من المستقبل ـ

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

ومنهم من يقول شمل بالكسر يشمل بالفتح۔

ومنهم من يأخذ الماضى من هذا الباب والمستقبل من الاول ۔ فيقول شمل بالكسر يشمل بالضم وليس ذلك بقياس واللغتان الاوليان أجود"۔ (۲۵)

المفاهيم الّتى خارجة عن نطاق اللغة

۱ إختلاف الاضداد لا تحيطه اللغة:

تعريف الاضداد:

قال ابو حاتم زعم قوم أن بعض العرب يجعل الضد مثل الندّ ويقول هو يضادُّنى فى ذلك المعنى ولا أعرف أنا ذلك۔

فأما المعروف فى الضدّ فى كلام العرب فخلاف الشئى كما يقال الأيمان ضد الكفر والعقل ضد الحمق۔ وفى القرآن ويكونون عليم ضدّا أى أضدادًا۔ (۲٦)

منهج العلماء فى كتب الاضداد:

وسطر أبو حاتم فى مقدمه كتاب الدافع الأول لمحاولات العلماء دراسة الأضداد فى اللغة ۔ فقال: بسم الله الرحمن الرحيم ۔ كتاب المقلوب لفظه فى كلام العرب والمزال عن جهته والأضداد حملنا على تأليفه أنا وجدنا من الأضداد فى كلامهم والمقلوب شيئاً كثيراً فأوضحنا ما حضر منه إذ كان يجىء فى القرآن الظن يقناً و شكاًّ۔ والرجاء خوفاً وطعماً وهو مشهور فى كلام العرب ۔ وضد الشىء خلافه وغيره۔ فأردنا أن لا يكون يرى من لا يعرف لغات العرب أن الله عزوجل حين قال:

﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ oالَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾(۲۷)

يمدح الشاكين فى لقاء ربهم وإنما المعنى يستيقنون۔ وكذلك فى صفة من أوتى كتابه بيمينه من أهل الجنة:﴿ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيَهْ o إِنِّىْ ظَنَنتُ أَنِّىْ مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾(۲۸)

ولو كان شاكاً لم يكن مؤمنا۔ (۲۹)

ومقدمة ابن الانبارى لكتاب الأضداد فيها نفس المعنى السابق وهو "خدمة تفسير القرآن ومحاولة الدفاع عن ما وجه إلى لغته وأسلوبه من التناقض والإحالة"۔ ويزيد ابن الأنبارى فى توضيحه فيقول "هذا كتاب ذكر الحروف التى توقعها العرب على المعانى المتضادة فيكون الحرف منها مؤدياً عن معنيين مختلفين، ويظن أهل البدع والزيغ الإزراء بالعرب أن ذلك كان منهم نقصان حكمتهم وقلة بلاغتهم۔وقال الله عزوجل وهو أصدق

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

القائلين: ﴿الَّذِيْنَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللّهِ﴾ (۳۰)

أراد الـذيـن يتيقنون ذلك۔ فلم يذهب وهم عاقل إلى الله عزوجل يمدح قوماً بالشك فى لقائه۔ وقال فى موضع آخر حاكياً عن فرعون فى خطابه موسى:

﴿إنى لأظنك يا موسى مسحورا﴾(۳۱)

وقال تعالىٰ حاكياً عن يونس عليه السلام:

﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾(۳۲)

من هاتين المقدمتين نتبين بوضوح مدى أثر الحرص على ألفاظ القرآن وفهمها فهماً صـحيـحـاً يتـمشى مع العقيدة ومحاولة دفع كل ما يوجه العربية والقرآن من طعن وتعارض فى بعث دراسات الأضداد ومدلول اللفظ۔

ويـقـول مـحـمـد زغلول سلام:"والتزم اللّغويون فى بحوث المدلول مناهج مختلفة، ظهرت فيها محاولاتهم تتضمن كتباً بأسماء عدة ولكنها وأن اختلفت فى التسمية فغير مختلفة فـى الهـدف الـعـام وهـو المدلول۔ وأهم تلك البحوث وأخطرها والصقها بالدراسات القرآنية وأثرها فى اللغة بحوث الأضداد۔

وتتـاولها اللغويون على اختلاف طبقاتهم بهذا الاسم فأفردوا لها كتب الاضداد كما فعل الأصمعى وأبو حاتم وابن السكيت وابن الانبارى۔

هدف البحث۔ محاولة الردّ على الطاعنين:

وقـد يـكـون البحث فى المدلول جزأً من البحث العام فى لغة القرآن وبيانه۔ ويكون البـحـث فيـه مـرتبـطـاً بهـا۔ فـأبـو عبيدة مثلاً يطرق الموضوع أكثر من مرة فى "مجاز القرآن" ويتـعـرض لـلأضـداد۔ والـفـراء كـذلك وإن اختلف فى الرأى مع أبى عبيدة۔ وابن قتيبة يناقش الـمسـألة فى المشكل فيفرد باباً للمقلوب ويتعرض لها أكثر من مرة فى مناسبات أخرى مثل ما فـعـل فـى بـاب "مـخـالـفة ظاهر الكلام معناه" وفى باب "المشكل الذى ادعى على القرآن به" وباب "اللفظ الواحد للمعانى المختلفة"۔

ولـكـن تبـرز غيـر هـذه المحاولات جميعاً مجموعة كتب الأضداد فى سلسلة يأخذ بـعـضهـا بـرقـاب بـعـض۔ وقد تصدت لبحث مدلول اللفظ۔ واجتهد مؤلفوها فى بحث معنى الـلـفـظ الـمـفـرد وصلته بالسياق، ومدى اختلاف معناه باختلاف تركيبه فى الجملة، ثم مدى تبـعيتـه للعبارة۔ وكان حافز العلماء فى الاجتهاد والبحث القرآن۔ ذلك لأن المفسرين والعلماء

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

الـذيـن شـغـلـوا بـدراسة أسـلـوبـه قد اعترضتهم بعض العقبات حين اصطدموا بألفاظ قد يفهم تكرارها فى مناسبات مختلفة فى القرآن أنها متضادة أو مختلفة فى معانيها۔ وذلك بالقياس إلى الشاهد الشعرى مما دعى بعض الطاعنين والشكاك إلى القول بالتناقض فى أسلوب القرآن۔

ويـغـلـب أن الـخـطـأ ناتج عندهم من القياس على الشاهد الشعرى ولم يراعوا ما فى الشـاهـد مـن الاحتـمالات مختلفة كاحتمال الخطأ والتصحيف أو المناسبة وتغيرها من شاهد إلـى شـاهـد والسيـاق۔ ثـم الـلهـجة أو الـلغة فى قبائل العرب۔ وهذه مما تصدى له العلماء فى بحوث الأضداد وفصلوا القول۔

وقـد ذهـب أولـئك يـدفـعـون اتهـامـات الـطاعنين ويقوضون من مزاعمهم۔ وبدأوا فعرضوا المشكل والاضداد فى اللغة على بساط البحث عرضاً لغوياً مناقشين مفندين فى سلسة كتب متتابعة۔ (٣٣)

أثر القرآن فى كتاب أبى حاتم:

وأثـر الـقـرآن فـى كتـاب أبـى حاتم واضح فهو يورد اللفظ وينص على استعماله فى القرآن فيقول فى القرآن كذا وكذا وكذا۔ ثم يأتى بالمعنى المختلف أو المتضاد إذا كان اللفظ مستعملاً فى الضد ولا تحرير له ولا تخريج فيما يراه۔ وينتهى من ذلك إلى شبيه الكلمة أو مثلها إذا كان لها شبيه أو مثيل۔

فـعـنـد مـا يتـكـلـم عن "ظن" ومعنييها المتضادين يأتى بالكلمة القريبة فى الاشتقاق فيتـكـلـم عـن " ضـنـيـن، وظـنـيـن" فيـقـول ﴿وما هو على الغيب بضنين﴾ وبظنين فهما وجهان معروفان۔ فالضنين البخيل والظنين المتهم وهو من الظنة أى التهمة۔

قال الراجز (الرجز): إن الحماة أو نعت بالكنّة وأبت الكنّة إلا ظنَّه

وبئر ظنون لا يوثق بمائها۔ (٣٤)

ويتـعـرض بـالـنـقـد لأقـوال الـسـابقين من العلماء ومن تعرض منهم للأضداد قولا أو تـأليـفـاً۔ يـأخـذ على أبى عبيدة قوله فى كلمة خاف ، كان أبو عبيدة يقول : خاف من الخوف ومن اليقين، وكان يقول ﴿فإن خفتم ألا تعدلوا﴾ يريد أيقنتم، ولا علم لى بهذا لأنه قرآن۔ فإنما نحكيه عن رب العالمين ولا ندرى لعله ليس كما يظن۔ ويكذبه ولا يأخذ بكلامه۔ (٣٥)

فيـقـول فـى كـلمة أسرّ وقال ابو عبيده:أسررت الشيء أخفيته أو أظهرته أيضاً، وكان يـقـول فى هذه الآية ﴿وأسروا الندامة لما رأوا العذاب﴾ أظهروها۔ ولا أعتد بقوله فى هذا والله

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

أعلم۔ وقد استشهدوا على كلمة أسر بمعنى أخفى بقول الفرزدق:

فلما رأ الحجاج جرّد سيفه أسرّ الحروىٰ الذى كان أضمرا (٣٦)

ولا يرضى أبو حاتم بهذا الاستشهاد على آيات القرآن ولا يطمئن إليه والفرزدق كثير التخليط فى شعره فلا أثق به فى القرآن۔

كان ابو حاتم يحدد معنى كلمة ضد وتقلباتها المختلفة، وكان يحتاط فى جانب القرآن فيقول فإنما نحكيه عن رب العالمين۔ فلم يكتف بما جمع من الألفاظ ولكنه تعمق النظر، والتأمل فيما جاء فى القرآن من الألفاظ التى يختلف مدلولها وينقلب أحياناً۔ وحاول أن ينتقل من مرحلة النظرة الفردية لكل لفظ على حدة إلى التعميم، وملاحظة معان، وصفات مشتركة لمجموعة من الألفاظ۔ وانتهىٰ إلى آراء طريفة تحاول أن تعلل تلك الظاهرة اللغوية التى شغلت العلماء ومهدت لمن جاء بعده۔

وأول ما يسترعى الانتباه فى كتابه وكتب الأضداد بصفة عامة أنها لا تبحث الألفاظ التى متضادة فى معانيها أحياناً وحسب ، بل تبحث فوق ذلك الألفاظ التى تختلف معانيها باختلاف المناسبة والسياق وهو "المقلوب لفظه فى كلام العرب المزال عن جهته والأضداد۔

وغلب اسم الأضداد على هذه الكتب وهى فى حقيقتها بحوث فى مدلول اللفظ وتغيره من وقت الآخر تحت ظروف معينة وعوامل مختلفة۔

ويظهر أن أبا حاتم كان ذا رأى فى الأضداد فى القرآن يختلف عن آراء سابقيه، منتفعاً بتحرج أستاذه الأصمعى وتدقيقه فى كل ما يتصل بالقرآن ولغاته وتفسيره ويتلخص هذا الرأى فى:

١ أنه لا يرى التوسع فى نظرية الأضداد فى اللغة وخاصة فى لفظ القرآن ، ولا يرى التسليم بما قال المفسرون واللغويون من قبل بل ينقد آراء هم ويفندها مخطئاً كثيراً منها۔

٢ الاقتصار في ألفاظ الأضداد على ما جاء منها مما لا يحتمل الشك ويؤيد السياق والشواهد الصحيحة۔

٣ إرجاع باقى ما جاء منها إلى أصولها من تصحيف ، وتغاير فى اللهجات أو مجرد أخطاء وقع فيها الشعراء نتيجة الاختلاط بالمولدين أو أخطاء فى الشعر نفسه نتيجة تداول ألسنة الرواة له۔

ويهمنا أن نرجع إلى أصل هذا الرأى القول بعدم التوسع فى الأضداد فى القرآن خاصة وهو واضح فى كتابه۔ ذلك أن المتوسع فيها لا يسلم من العثرات ، ولا ينبغى لمفسر

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

القرآن التمادى وراء ها ـ يقول "وكل شيء من هذا الباب فى القرآن فتفسيره يتقى ، وما لم يكن فى القرآن فهو أيسر خطباً ـ (۳۷)

٤ إرجاع بعض ماجاء فى الأضداد إلى حالات خاصة ملابسة للفظ، كالتفاؤل أو التشاؤم قال فى الناهل "الناهل العطشان ، والناهل الريان ـ قال الأصمعى : الناهل الشارب يقال أنهلته سقيته الشربة الأولى، وعلّلته سقيته مرتين أو أكثر ـ وإنما قيل للعطشان ناهل على التفاؤل كما يقال للمهلكة مفازة على التفاؤل ـ ويقال للعطشان ريان ـ وللملدوغ سليم أى سيسلم ونحو ذلك لأن معنى فاز نجا ـ فالمفازة المنجاة، كما قال الله تعالى ﴿فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب﴾ (۳۹)أى بمنجاة إن شاء الله" ـ

٥ الاكتفاء فى بعضها بذكر ما جاء فى تفسير العلماء مع الوقوف بين الآراء المتعارضة موقفاً وسطاً يقول: "قال بعضهم فى المسجور الفارغ، بلغنى ذلك ولا أدرى ما الصواب؟ ، ولا أقول فى ﴿فى البحر المسجور﴾ شيئاً ولا ﴿وإذا البحار سجرت﴾ لأنه قرآن فأنا أثق به ـ وقالت جارية بالحجاز: إن حوضكم لمسجور ـ ولم تكن فيه قطرة ـ قال أبو حاتم : يمكن أن يكون هذا على التفاؤل كما يقال للعطشان ريان وللملدوغ سليم وقال ذوالرمة فى المسجور وهو بمعنى المملوء ـ (٤٠)

الإمام ابن الأنبارى وكتابه الأضداد:

وجاء ابن الأنبارى فألف كتابه الجديد ولندعه يرسم لنا منهجه فى مقدمة الكتاب ـ فيقول:

هذا كتاب ذكر الحروف التى توقعها العرب على المعانى المتضادة فيكون الحرف منها مؤدباً عن معنيين مختلفين ، ويظن أهل البدع والزيغ الازراء بالعرب أن ذلك كان منهم نقصان حكمتهم وقلة بلاغتهم ـ

فاجاب عن الظن الذى ظنّوه بضروب من الاجوبة ـ لا يسعه هذا المقام للتفصيل ـ

فكلامه هنا يثبت أنه يأخذ كلام القدماء فى الأضدادلاجمعاً كما فعل بعضهم أونقلاً بل دراساً و معللاً ، ثم أشار إلى مسألة هامة وهى إستقصاء الشواهد وتصنيفها ـ وأشار إلى اهمية الأضداد فى الكلام عند ما قسم اللفظ من حيث المدلول إلى أقسام ثلثة ـ

١ ألفاظ لا تعنى إذا وردت فى الكلام إلا معنى واحداً لا يتغير بتغير السياق، كالرجل والمرأة ، والجمل والناقة ، واليوم والليلة، وقام وقعد، وتكلم وسكت، وهذا هو الكثير الّذى لا يحاط به ـ

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

٢ ألـفاظ لا يفهم معناها إلا بالسياق، ولا يمكن أن تختلط فى المدلول، مثل لفظ حمل بمعنى ولد الضأن، وحمل بمعنى اسم رجل۔

٣ ألـفـاظ يـقـع الـلـفظان منها أو أكثر على المعنى الواحد كقولك البر والحنطة والعير والحمار والذئب والسيد وجلس وقعد۔

٤ ألفاظ يختلف معناها باختلاف السياق، وهذ القسم يضم الاضداد ، وهو القسم الهام فى هذا البحث لانه القليل الظريف من كلام العرب۔ (٤٠)

فـرأيـت مـن البـحث السابق الاقوال المختلفة فى تعيين معنى الكلمة۔ فابن الانبارى يرفض رأى ابى حاتم فى الاية التى يقول بان الرجاء هنا بمعنى الخوف۔

وهـكـذا لا يـقبـل قـول العلماء الذين قالوا أن الرجاء معناه "الأملُ ويرى أن الاية التى إحتجوا بها لا حجة لهم فيها۔

والـصـحيـح عنده أن الرجاء لا يخرج أبداً عن معنى الشك هكذا اختلاف اللهجات بين القبائل قد يؤدى إلى الاختلاف فى مدلول اللفظ۔

فالجون الابيض فى لغة حيّ من العرب، والجون الاسود فى لغة حيّ آخر۔

والسدفة حرف من الاضداد فبنوتميم يذهبون إلى انها الظلمة وقيس يذهبون إلى انها الضوء۔

وهـذه الاختلافات فى دلالة الكلمات فى اللغة العربية مجال بحث وجدل فى القديم والحديث۔ فكيف يكون اللغة قاضياً حاكماً فى تفسير كتاب الله العزيز۔

نطاق اللغة فى الترادف

الترادف:

الترادف فى اللغة:قال ابن فارس : الرّاء والدّال والفاء أصل واحد مطرد يدل على اتباع الشئى، فالترادف : التتابع۔ والردفان الليل والنهار۔(٤١)

الترادف اصطلاحاً:

هو الالفاظ المفردة الدّالة على شيءٍ واحدٍ باعتبار واحدٍ۔ (٤٢)

قضية الفروق والترادف بين العلماء:

وقـضية الـفـروق والتـرادف وإن بـدت لـلـوهلة الأولى۔ انها قضية لغوية الا انها رغم شديد اتصالها باللغة العربية وفقهها ۔ عظيمة الاثر فى تفسير القرآن الكريم وفهم معانيه وخاصة إذا مـالا حـظـنـا قـول ابـن تيـميه رحمه الله أن الترادف فى القرآن الكريم إما معدوم وإما نادر۔

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

وانقسم الناس فیها فریقین۔ فریق یقول بوجود الترادف فی العربیة وأنه لا معنی لاقامة البرهان علی جوازه بعد تحقق وقوعه، کالبر والقمح والعقود والجلوس۔ وهو لاء یعتبرون الترادف میزه کبری للعربیة ودلیلاً علی ثرائها وسعتها وکثرة ألفاظها۔

وفریق آخر من اللغویین یقول بعدم وقوع الترادف لان وجوه من الفضول والتزید الذی لا فائدة فیه ولا طائل تحته۔ (٤٣)

القائلون بالترادف من علماء اللغة العربیة ابن خولویة ، الاصمعی و سیبویه ، وابن جنی والفیروزآبادی۔ ومن الفریق الآخر یأتی فی مقدمتهم ابو هلال العسکری وأحمد بن فارس ثعلب ، وابن الاعرابی وابن درستویه۔

رأی الإمام الزرکشی فی ذلك:

یری الزرکشی فی کتابه "البرهان فی علوم القرآن" أن من بواعث معرفة الاعجاز اختلاف المقامات وان یذکر فی کل موضع ما یلائمه ویلیق به من الالفاظ وان کانت مترادفة بحیث یودّی إبدال حرفٍ باخر إلی ذهاب ما علی الکلام من طلاوةٍ وما فیه من حلاوةٍ کما هو یقول تحت عنوان "فی الفاظ یظن بها الترادف ولیست منه" ۔ ولهذا وزّعت بحسب المقامات فلا یقوم مراد فها فیما استعمل فیه مقام الآخر،فعلی المفسّر مراعاة الاستعمال ، والقطع بعدم الترادف ما أمکن۔ فإن للترکیب معنیً غیر معنی الافراد۔ ولهذا منع کثیر من الأصولیین وقوع احد المترادفین موقع الآخر فی التراکیب وإن اتفقوا علی جوازه فی الافراد ۔ (٤٤)

وقد اورد الزرکشی فی البرهان عدداً من الالفاظ یظن بها الترادف ولیست منه ولهذا وزّعت فی القرآن الکریم بحیث لا یقوم بعضها مقام الاخر بل الاسزادة علی ذلك۔ یقول فی مقام "**لا یکاد اللغوی یفرق بینهما**" وفی مقام آخر "**لا یفرق الادیب بینهما والله تعالی فرّق بینهما**"۔

وهذه الالفاظ هی الخوف والخشیة ، والشح والبخل ، الغبطة والمنافسة ، الحسد والحقد ، السبیل والطریق، جاء وأتی ، الخطف والتخطف ، مدّ و أمد، عمل و فعل ، القعود والجلوس ، الاعطاء والایتاء۔ (٤٥)

الامثلة التطبیقیة:

١ فمن ذلك "الخوف" و"الخشیة" لا یکاد اللغوی یفرّق بینهما ولا شك ان الخشیة أعلی من الخوف وهی أشد الخوف ۔ فإنها ماخوذة من قولهم "شجرة خشیّة" إذا کانت یابسة وذلك فوات بالکلیّة۔ والخوف من قولهم "ناقة خوفاً" إذا کان بها داءٌ وذلك نقص ولیس

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

بفوات۔ ومن ثمّة خصت الخشية بالله تعالى فى قوله سبحانه وتعالٰى:

﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُوْنَ سُوْءَ الْحِسَاب﴾(٤٦)

وفرق بينهما ايضاً بان الخشية تكون من عظم المخشىّ وان كان الخاشى قويّاً، والكوف يكون من ضعف الخائف وإن كان المخوف أمراً يسيراً ويدل على ذلك أن الخاء، والشين، واليا فى تقاليبها تدل على العظمة۔ قالوا شيخ للسيد الكبير، والخيش لما عظم من الكتّان والخاء والواو، والفاء فى تقاليبها تدل على الضعف۔

وانظر إلى الخوف لما فيه من ضعف القوة۔ وقال تعالى:

﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُوْنَ سُوْءَ الْحِسَابِ﴾(٤٧)

فإن الخوف من لعظمته، يخشاه كل احد كيف كانت حاله، وسوء الحساب ربما لا يخافه من كان عالماً بالحساب، وحاسب نفسه قبل أن يحاسب۔

وقال تعالى :﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللّٰهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءَ﴾(٤٨)

وقال لموسى ﴿لَا تَخَفْ﴾(٤٩) أى لا يكون عندك من ضعف نفسك ما تخاف من فرعون۔

فإن قيل : ورد ﴿يَخَافُوْنَ رَبَّهُمْ﴾؟

قيل : الخاشي من الله بالنسبة إلى عظمة الله ضعيف، فيصح أن يقول: "يخشى ربه" لعظمته، ويخاف ربه أى لضعفه بالنسبة إلى الله تعالى۔

وفيه لطيفة وهى أن الله تعالى لما ذكر الملائكة وهم أقوياء، ذكر صفتهم بين يديه، فقال تعالٰى :

﴿يَخَافُوْنَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُوْنَ مَا يُؤْمَرُوْنَ﴾(٥٠)

فبين أنهم عند الله ضعفاء۔ ولما ذكر المؤمنين من الناس وهم ضعفاء، لا حاجة إلى بيان ضعفهم، ذكر ما يدل على عظمة الله تعالى فقال فى آية ٢١ من سورة الرعد:﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾

ولما ذكر ضعف الملائكة بالنسبة إلى قوة الله تعالى قال﴿رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ والمراد فوقية بالعظمة۔

٢ ومن ذلك : الشح والبخل۔

والشخ: هو البخل الشديد۔ وفرق العسكرى بين البخل والضن بأن الضن : أصله أن يكون بالعواري۔ والبخل : بالهيئات، ولهذا يقال هو ضنين بعلمه، ولا يقال هو بخيل۔ لأن العلم أشبه بالعاريّة منه بالهيئة، لأن الواهب إذا وهب شيئاً خرج عن ملكه، بخلاف العارية، ولهذا قال تعالى : ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِيْن﴾(٥١)

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

ولم يقل ببخيل۔

۳ ومن ذلك "السبيل" و "الطريق"۔ وقد كثر استعمال السبيل في القرآن حتى إنه وقع في الربع الأول منه في بضع و خمسين موضعاً۔

أولها قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ الَّذِيْنَ أُحْصِرُوْا فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ﴾(۵۲)

ولم يقع ذكر الطريق مراداً به الخير، إلا مقترناً بوصف أو بإضافة، مما يخلصه لذلك كقوله تعالىٰ : ﴿إِلَى الْحَقِّ وَإِلٰى طَرِيْقٍ مُّسْتَقِيْمٍ﴾(۵۳)

٤ ومن ذلك "جاء" و "أتى" يستويان في الماضي۔ و"يأتى" أخ من "يجىء" و كذا في الامر و"جيئوا بمثله" أثقل من "فأتو بمثله" ولم يذكر الله إلا "يأتى" و"يأتون" وفي الأمر "فأت،فأتنا، فأتوا، لأن إسكان الهمزة ثقيل لتحريك حروف المد واللين ، تقول "جي ء" اثقل من "ائت"۔

وأما في الماضي ففيه لطيفة، وهى أن "جاء" يقال في الجواهر والأعيان، "وأتى" في المعانى والأزمان۔ وفي مقابلتها : ذهب و مضى، يقال ذهب في الأعيان، ومضى في الأزمان۔ ولهذا يقال: حكم فلان ماض ولا يقال: ذاهب۔ لأن الحكم ليس من الأعيان۔

وقال فى آية ۱۷ من سورة بقرة ﴿ذَهَبَ اللّٰهُ بِنُوْرِهِمْ﴾ ولم يقل "مضى" لأنه يضرب له المثل بالمعاني المفتقرة إلى الحال۔ ويضرب له المثل بالأعيان القائمة بأنفسها ۔ فذكر الله "جاء" في موضع الأعيان في الماضي و "أتى" في موضع المعانى والأزمان۔

٥ ومن ذلك "الخطف" و "التخطف"۔ لا يفرق الأديب بينهما۔ والله تعالى فرق بينهما، فتقول "خطِف" بالكسر ، لما تكرر، ويكون من شأن الخاطف الخطف ، و "خَطَفَ" بالفتح حيث يقع الخطف من غير من يكون من شأنه الخطف بكلفة وهو أبعد من "خَطَفَ" بالفتح۔ فإنه يكون لمن اتفق له على تكلف ولم يكن متوقعاً منه۔

ويدل عليه أن "فعل" بالكسر لا يتكرر، كعلم وسمع، و"فعَل" لا يشترط فيه ، كقتل وضرب۔ قال تعالى:﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾(٥٤)

فإن شغل الشيطان ذلك۔

وقال فى آية ۳۱ من سورةالحج ﴿فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ﴾ لأن من شأنه ذلك۔

وقال فى آية ۳٦ من سورة الانفال ﴿تَخَافُوْنَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾ ، فإن الناس لا تخطف الناس إلا على تكلف۔

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

وقال فى آ ۲۷ من سورة العنكبوت ﴿وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾۔

وقال﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ اَبْصَارَهُمْ ﴾، لأن البرق يخاف منه خطف البصر إذا قوى۔

٦ ومن ذلك "مد" و "أمد" ۔ قال الراغب أكثر ما جاء الإمداد في المحبوب۔

﴿وَاَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ﴾ (٥٥) ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُوْدٍ﴾ (٥٦)

والمدّ في المكروه: ﴿وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ (٥٧)

ومن ذلك و "أسقى" وقد سبق۔

٧ ومن ذلك "عمل" و "فعل" ، والفرق بينهما أن العمل أخص من الفعل۔ كل عمل فعل ولا ينعكس۔ ولهذا جعل النحاة الفعل في مقابلة الاسم، لأنه أعمّ۔ والعمل من الفعل ما كان مع امتداد ، لأنه "فَعِلَ' وباب "فعِل" لما تكرر۔

وقد اعتبره الله تعالى، فقال ﴿يَعْمَلُوْنَ لَهُ مَا يَشَاءُ﴾(٥٨) حيث كان فعلهم بزمان۔

وقال ﴿وَيَفْعَلُوْنَ مَا يُؤْمَرُوْنَ﴾(٥٩) حيث يأتون بما يؤمرون في طرفة عين۔ فيقولون المدن فأسرع من أن القائم من مكانه۔

وقال تعالى ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيْنَا﴾ (٦٠) ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيَهُمْ﴾(٦١)

فإن خلق الأنعام ، والثمار والزروع بامتداد۔

وقال ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيْلِ﴾(٦٢)

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾(٦٣)

﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾(٦٤)۔ فإنها إهلاكات وقعت من غير بطء۔

وقال ﴿وَعَمِلُوْا الصَّالِحَاتِ﴾ (٦٥) حيث كان المقصود المثابرة عليها، لا الإتيان بها مرة۔

وقال ﴿وَافْعَلُوْا الْخَيْرَ﴾(٦٦) بمعنى سارعوا۔

كما قال ﴿فَاسْتَبِقُوْا الْخَيْرَات﴾(٦٧)

وقال ﴿وَالَّذِيْنَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُوْنَ﴾(٦٨)، أى يأتون بها على سرعة من غير توانٍ في دفع حاجة الفقير۔

فهذا هو الفصاحة في اختيار الأحسن في كل موضع۔

٨ ومن ذلك "القعود" و "الجلوس" ۔ إن القعود لا يكون معه لبثة۔ والجلوس لا يعتبر فيه ذلك۔ ولهذا تقول" قواعد البيت" ولا تقول "جوالسه" ۔ لأن مقصودك ما فيه ثبات، والقاف ، والعين، والدال كيف تقلبت ذلت على اللبث۔ والقعدة بقاء على حالة ، والدقعاء :

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

للتراب الكثير الذي يبقى في مسيل الماء وله لبث طويل۔ وأما الجيم، واللام ، والسين فهي للحركة، منه : السجل للكتاب يطوى له ولا يثبت عنده۔ ولهذا قالوا في قعد : يقعد بضم الوسط ، وقالوا : جلس يجلس بكسره، فاختاروا الثقيل لما هو أثبت۔

إذا ثبت هذا فنقول:

قال الله تعالى ﴿مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾(٦٩)، فإن الثبات هو المقصود۔

وقال ﴿أُقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ (٧٠) ، أى لا زوال لكم ولا حركة عليكم بعد هذا۔

وقال ﴿فِيْ مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ (٧١)، ولم يقل "مجلس"، إذ لا زوال عنه۔

وقال ﴿إِذَا قِيْلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوْا فِيْ الْمَجَالِسِ﴾ (٧٢) ، إشار إلى أنه يجلس فيه زماناً يسيراً ليس بمقعد۔ فإذا طُلب منكم التفسح فافسحوا، لأنه لا كلفة فيه لقصره۔ ولهذا لا يقال : قعيد المملوك، وإنما يقال : جليسهم۔ لأن مجالسة الملوك يستحب فيها التخفيف، والقعيدة للمرأة، لأنها تلبث في مكانها۔

٩ ومن ذلك "التمام" و "اكمال"، وقد اجتمعا في قوله تعالىٰ فى آية ٣ من سورة المائدة: ﴿اَلْيَوْمَ اَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَاَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِىْ﴾

والعطف يقتضى المغايرة۔

فقيل: الإتمام لإزالة نقصان الاصل، والإكمال لإزالة نقصان العوارض بعد تمام الأصل، ولهذا كان قوله تعالى ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ أحسن من "تامة" ـ فإن التمام من لاعدد قد عُلم ، وإنما بقي احتمال نقص فى صفاتها۔

وقيل "تمّ" يشعر بحصول نقص قبله ، و "كمل" لا يشعر بذلك ، ومن هذا قولهم: رجل كامل، إذا جمع خصال الخير، ورجل تام إذا كان غير ناقص الطول۔

وقال العسكرى: الكمال إسم لاجتماع أبعاض الموصوف به ، والتمام إسم للجزء الذى يتم به الموصوف۔ ولهذا يقولون : القافية تمام البيت، ولا يقولون كماله، ويقولون البيت بكماله۔

ومن ذلك الضياء والنور۔

فائدة:

قال الجوينى: لا يكاد اللغويون يفرقون بين الإعطاء والإتيان۔ وظهر لي بينهما فرق انبنى عليه بلاغة في كتاب الله وهو أن الإتيان أقوى من الإعطاء في إثبات مفعوله، لأن الإعطاء له مطاوع، يقال أعطانى فعطوت، ولا يقال في الإتيان: أتانى فأتيت۔ وإنما يقال: أتانى

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

فأخذت، والفعل الذى له مطاوع أضعف في إثبات مفعوله من الذى لا مطاوع له- لأنك تقول: قطعته فانقطع- فيدل على ان فعل الفاعل كمان موقوفاً على قبول المحل، لولاه لما ثبت المفعول- ولهذا يصحّ: قطعته فما انقطع، ولا يصح فيما لا مطاوع له ذلك- فلا يجوز أن يقال: ضربته فانضرب أو ما انضرب - ولا قتلته فانقتل او ما انقتل- لأن هذه أفعال إذا صدرت من الفاعل ثبت لها المفعول في المحل- والفاعل مستقل بالأفعال التي لا مطاوع لها- فالإيتاء إذن أقوى من الإعطاء-

قال وقد تفكرت في مواضع من القرآن، فوجدت ذلك مراعى-

قال الله تعالى في الملك ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءَ﴾ (٧٣)، لأن الملك شي عظيم لا يعطيه إلا من له قوة- ولأن الملك أثبت من الملك في المالك- فإن الملك لا يخرج الملك من يده- وأما المالك فيخرجه بالبيع والهبة-

وقال تعالى ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ﴾ (٧٤) لأن الحكمة إذا ثبتت في المحل دامت-

وقال ﴿آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي﴾ (٧٥) لعظم القرآن وشأنه-

وقال ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ (٧٦) ، لأن النبى ﷺ وأمته يردون على الحوض ورود النازل على الماء ، ويرتحلون إلى منازل العز والأنهار الجارية في الجنان- والحوض للنبى ﷺ وأمته عند عطش الأكباد قبل الوصبول إلى المقام الكريم- فقال فيه ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ﴾ لأنه يترك ذلك عن قرب، وينتفل إليى ما هو أعظم منه-

وقال ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَه﴾ (٧٧)، لأن من الأشياء ما له وجود في زمان واحد بلفظ الإعطاء-

وقال ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ (٧٨) لأنه تعالى بعد ما يرضى النبى ﷺ يزيده، وينتقل به من كل الرضا إلى أعظم ما كان يرجو منه، لا بل حال أمته كذلك- فقوله ﴿يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ [الضحى: ٥] فيه بشارة-

وقال ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ﴾ (٧٩) لأنها موقوفة على قبول منا، وهم لا يؤتون إيتاء عن طيب قلب- وإنما هو عن كره، إشارة إلى أن المؤمن ينبغى أن يكون إعطاؤه للزكاة بقوة لا يكون كإعطاء الجزية- فانظر إلى هذه اللطيفة الموقفة على سر من أسرار الكتاب- (٨٠)

معرفة الفروق اللغويه:

هناك طرق معيّنة ومسالك محددة ومناهج واضحة لتعرف بها ومن خلالها على

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

الفروق اللغوية۔ وقد ذكر ابو هلال العسكرى فى كتابه "الفروق فى اللغة"۔

هذه المسالك الّتى بها يمكن معرفة الفروق بين معانى الالفاظ المتقاربة الدلالة والتى يظهر لكثير أنها مترادفة۔

وقد ذكر المسالك والطرق التى يسلكها علماء اللغة القائلون بالفروق ومن أهمّها۔

الفرق الذى يعرف من جهة أصل اللفظ فى اللغة فكالفرق بين الحنين والاشتياق ، وذلك ان أصل الحنين فى اللغة هو صوت من أصوات الابل تحدثها إذا اشتاقت إلى اوطانها۔ ثم كثر ذلك حتى أجرىٰ اسم كل واحد منهما على الآخر كما يجرى على السبب وعلى المسبب اسم السبب۔ فاذا اعتبرت هذه المعانى وما شاكلها فى الكلمتين ولم يتبيّن لك الفرق بين معنيهما ، فاعلم أنهما من لغتين۔ مثل القدر بالبصرية والبرمة بالمكيّة ومثل قولنا الله بالعربية وآزر بالفارسية۔ (۸۱)

۳ اسباب النزول خارجة عن حدود اللغة:

بيان اسباب النزول طريق قوى لفهم معانى كتاب الله العزيز وهو خارج عن حيز اللغة۔

وقال الامام الزركشى وأخطأ من زعم أنه لا طائل تحته لجريانه مجرى التاريخ، وليس كذلك بل له فوائد۔ منها وبه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم۔

ومنها تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب۔

ومنها الوقوف على المعنى۔

قال الشيخ ابو الفتح القشيرى: بيان سبب النزول طريق قوى فى فهم معانى الكتاب العزيز ، وهو امر تحصل للصحابة بقرائن تحتف بالقضايا۔

ومنها أنه قد يكون اللفظ عاماً ويقم الدليل على التخصيص ۔ فإن محل السبب لا يجوز إخراجه بالاجتهاد والاجماع۔ومن الفوائد ايضاً دفع توهم الحصر۔ قال الشافعى ما معناه فى معنى قوله تعالى: ﴿قل لا أجد فيما أوحى إلى محرماً﴾ (۸۲)

إن الكفار لمّا حرّموا ما أحل الله ، واحلوا ما حرم الله وكانوا على المضادة والمحادة، جاء ت الاية مناقضة لغرضهم فكانه قال لا حلال إلا ما حرّمتموه ولا حرام إلا ما أحللتموه۔ (۸۳)

قال ابن تيميه رحمه الله:معرفة سبب النزول يعين على فهم الاية ، فان العلم با لسبب يورث العلم بالمسبب۔ (۸٤)

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

معرفة اسباب النزول يحصل بالاتباع والاستماع:

قال الواحدى: لا يحل القول فى أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع۔ فمن شاهد والتنزيل او وقفوا على الاسباب وبحثوا عن علمها وقد قال محمد بن سيرين سألت عبدية عن آية من القرآن ، فقال: إتق الله وقل سداداً ذهب الذين يعلمون فيم أنزل الله القرآن۔(۸۵)

قال الحاكم فى علوم الحديث:

إذا أخبر الصحابى الذى شهد الوحى والتنزيل عن آية من القرآن انها نزلت فى كذا، فانه حديث مسند ومشى على ذلك ابن صلاح وغيره۔ ومثلوه بما أخرجه مسلم عن جابر قال كانت اليهود تقول من أتى إمرأة من دبرها فى قبلها جاء الولد أحول ، فأنزل الله ﴿نسآء كم حرث لكم﴾ (۸٦)

وقال غيره: معرفة سبب النزول أمر يحصل للصحابة لقرائن تختلف بالقضايا وربما لم يجزم بعضهم ۔ فقال أحسب هذه الاية نزلت فى كذا كما أخرج الائمة الستة عن عبد الله بن الزبير قال: خاصم الزبير رجلاً من الانصار فى شراج الحرة۔ فقال النبى ﷺ((إسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك))۔ فقال الانصارى يا رسول الله ان كان ابن عمتك۔ فتلون وجهه ۔ الحديث

قال الزبير: فما أحسب هذه الآيات إلا نزلت فى ذلك۔ ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم﴾ (۸۷)

مقاصد نزول القرآن الكريم:

إن فهم مقاصد نزول القرآن الاصلية وادراك أهدافه الحقيقة بصفة خاصة ومعرفة مقاصد أحكام الشرع ومسائله بصفة عامةٍ ، شرط فهم من شروط المفسر والاخلال بهذا الشرط يؤدى إلى الوقوع فى الاخطأء التفسيرية۔

ومما لا يختلف فيه اثنان ان الله تعالى أنزل جميع الآيات القرآنية و شرع كل الاحكام الشرعية لمقاصد جليلة وغايات عظيمة ومطالب نبيلة كلها مبنية على مصالح العباد فى دنياهم وأخراهم كما أنها متضمنة لأسباب السعادة فى المعاش والمعاد ۔ قال الله تعالى ﴿يا يها الناس قد جاء تكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾(۸۸)

وقال شيخ الاسلام رحمه الله: ولا بد فى تفسير القرآن والحديث من أن يعرف ما يدل على مراد الله ورسوله من الالفاظ وكيف يفهم كلامه۔ (۸۹)

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

كم من إنحراف ظهر فى التفسير و كم من خطأ حصل فيه بسبب عدم فهم مقاصد نزول القرآن الكريم، وفقد بصيرة وتأمل فى أغراضه وعدم معرفة مدلول آياته والجمل بمواضع نصوصه؟

وما أكثر الفرق المبتدعة، قديماً و حديثاً الذين استدلوا بالآيات القرآنية وتمسكوا بالنصوص الشرعية استدلالاً باطلاً وتمسكاً فاسداً على إثبات باطلهم جاهلين مقاصد ها واهدافها وغافلين مفاهيمها الصحيحة ومدلولاتها البينة الواضحة۔

الامثلة التطبيقية:

وقال الامام الزركشى:

١ ومن فوائد هذا العلم إزالة الاشكال ، ففى الصحيح عن مروان ابن الحكم أنه بعث إلى ابن عباس رضي اللّٰه عنهما يسأله لئن كان كل امرى فرح بما اوتى وأحب أن يحمد بما يفعل معذباً، لنعذّبن أجمعون۔ فقال ابن عباس رضي الله عنهما : هذه الآية نزلت فى أهل الكتاب ۔ (۹۰)

٢ من ذلك قوله تعالى ﴿ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا﴾(۹۱)

فحكى عن عثمان بن مظعون و عمر بن معديكرب رضي الله عنهما انهما كانا يقولان: الخمر مباحة ويحتجان بهذه الاية وخفى عليهما سبب نزولها۔ فإنه يمنع من ذلك وهو ما قاله الحسن وغيره۔ لما نزل تحريم الخمر قالوا كيف بإخواننا الذين ماتوا وهى فى بطونهم وقد أخبر الله إنها رجس ۔ فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية۔

٣ ومن ذلك قوله تعالىٰ ﴿واللائى يئسن من المحيض من نساء كم إن ارتبتم ﴾ (۹۲)

قد أشكل معنى هذا الشرط على بعض الأئمة وقد بيّنه سبب النزول ۔

٤ ومن ذلك قوله تعالى ﴿ولِلّٰه المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله﴾(۹۳)

فانا لو تركنا مدلول اللفظ لا قتضى أن المصلى لا يجب عليه استقبال القبلة سفراً ولا حضراً، وهو خلاف الاجماع۔ فلا يفهم مراد الآية حتى يعلم سببها، وذلك أنها نزلت لما صلى النبى ﷺ على راحلته وهو مستقبل من مكة الى المدينة حيث توجهت به۔ فعلم أن هذا هو المراد۔

٥ ومن ذلك قوله تعالى ﴿إن من أزواجكم واولادكم عدواً لكم﴾ (۹٤)

فان سبب نزولها أن قوماً أرادوا الخروج للجهاد فمنعهم أزواجهم وأولادهم۔ فأنزل

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

الله تعالىٰ هذه الآية۔

ثم أنزل فى بقيّتها ما يدل على الرحمة وترك المؤاخذة ، فقال ﴿وإن تعفوا و تصفحوا وتغفروا فإان الله غفور رحيم﴾ (۹۵)

فظهرت من هذه الامثلة ان معرفة سبب نزول الآية تؤدى الى فهم مقاصد القرآن واهدافها۔ ولا تستطيع اللغة ان تحيطها ولا اللغوى أن يحوزها۔

وما أصدق كلام الدكتور محمد حسين الذهبى رحمه الله فى المفسرين الخوارج السطحيين وما أنصف تحليله لتفاسيرهم البعيدة عن مقاصد القرآن۔

إن الخوارج عند ما ينظرون إلى القرآن لا يتعمقون فى التاويل ولا يغوصون وراء المعانى الدقيقة، ولا يكلفون أنفسهم عنا البحث عن أهداف القرآن وأسراره بل يقفون عند حرفيه ألفاظه وينظرون إلى الآيات نظرة سحطية وربما كانت الآية لا تنطبق على ما يقصدون إليه ولا تتصل بالموضوع الذى يستدلون بها عليه۔ لا منهم فهموا ظاهراً معطلاً وأخذوا بعضهم غير مراد، ولقد يعجب الانسان ويدهش عند ما يقرأ ما للقوم من سخافات فى فهمهم لبعض نصوص القرآن أوقعهم فيها التنطع والتمسك بظواهر النصوص۔ (۹۶)

وقال شيخ الاسلام

قرّر الائمة الاعلام من المفسرين والاصوليين أن من اهمّ فوائد معرفة أسباب النزول أنها تعين على فهم الآية على وجه صحيح والغفلة عنها تؤدى إلى الخروج عن المقصود بالايات ، فاذا تنازع العلماء فى تفسير آية من كتاب الله وتعددت أقوالهم ، فادنى الاقوال بتفسيرالآية ما وافق سبب النزول الصحيح الصريح فى السببيّة۔ (۹۷)

المثال: قال الله تعالى :

﴿وليس البر بأن تأأتوا البيوت من ظهورها﴾(۹۸)

اختلف المفسرون في تفسير ﴿البيوت﴾ من هذه الآية على اقوال:

أحدها: أن المراد بالبيوت هي المنازل المعروفة، والإتيان هو المجئي إليها ودخولها۔ وهذا القول محمول على الحقيقة۔

والثانى: أن المراد بالبيوت النساء أمرنا بإتيانهن من القبل لا من الدبر۔ وسمي النساء بيوتاً للإيواء إليهن كالإيواء إلى البيوت۔ هذا التفسير مبنى على المجاز۔

والثالث: أنها مثل، المعنى : ليس البر أن تسألوا الجهّال ولكن اتقوا واسألوا

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

العلماء۔ فهذا كما يقال: أتيت هذا الأمر من بابه۔ فأمر الناس أن يأتوا الأمور من وجوهها۔ وقيل غير ذلك۔

وأولى بالصواب هو القول الأول وعليه جمهور المفسرين۔ وذلك لما صح في سبب نزول هذه الآية من حديث البراء بن عازب رضى الله عنه قال: كانت الأنصار إذا حجوا فرجعوا لم يدخلوا البيوت إلا من ظهورها۔ قال فجاء رجل من الأنصار فدخل من بابه،فقيل له في ذلك۔ فنزلت هذه الآية: ﴿وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها﴾ (۹۹)

وقد رجّح هذا القول بالقاعدة المذكورة جماعة من أئمة التفسير من ابن العربى ، وابن عطية ، والقرطبى ، وابو حيان وغيرهم۔ ولم يذكر الامام طبرى ، وابن كثير غير هذا القول مستندين إلى سبب النزول۔

ذكر الامام ابو حيان الروايات المتعددة فى سبب النزول ثم قال:

وملخص هذه الاسباب أن الله تعالى أنزل هذه الآية رادًّ على من جعل إتيان البيوت من ظهورها براً آمراً باتيان البيوت من أبوابها۔ وهذه أسباب تظافرت على أن البيوت أريد به الحقيقة وأن الاتيان هو المجئى إليها والحمل على الحقيقة اولى من إدعا المجاز مع مخالفة ما تظافر من هذه الاسباب۔ (۱۰۰)

الهوامش

۱۔سورة النجم:۳،٤

۲۔ابن تيمية، احمد بن عبدالحليم،امام، مجموع الفتاوٰى،الرياض: دار عالم الكتب ۱٤۱۲-۱۹۹۱، ص۷۔ ۲۸٦

۳۔ ولى الله، احمد بن عبد الرحيم ، الدهلوى ، الفوزالكبير فى أصول التفسير، ط۔الثانية ، ۱٤۰۷ھ،ص ۲٤۱

٤۔ابن تيمية، احمد بن عبدالحليم،امام، مجموع الفتاوٰى،ص ۹٥/۱٥

٥۔ابن القيم ، محمد بن ابى بكر ، الدمشقى ، بدائع الفوائد ،الرياض: دار الجانى ، الطبعة الاولىٰ، ۱٤۱٤-۱۹۹٤ء،ص ۲۷/۳

٦۔الاعراف: ٥٥،٥٦ ۷۔البقرة : ۱۸٦ ۸۔الاعراف:۷۸

۹۔ ابن تيميه ، احمد بن عبد الحليم ، مجموع الفتاوى ، ۱٥/ ۱۰۔۱۲

۱۰۔ زيات، احمد حسن،تاريخ الادب العربى ،مصر: ص ۸٦

۱۱۔ال عمران:۹۷ ۱۲۔البقرة:۱٥۸

۱۳۔ ابن تيميه ، شيخ الاسلام ، مجموع الفتاوى ،ص ۷/ ۲۹۸

۱٤۔ ابن جرير ، جامع البيان عن تاويل القران، ص۱٦/ ۷۱

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

١٥ـ الزركشی ، بدرالدين ، البرهان فی علوم القرآن ،ص ١٣٤/ ١ ١٦ـ المصدر السابق،ص ١٤٠/١
١٧ـ السيوطی ، جلال الدين عبد الرحمن، الاتقان فی علوم القرآن ، ٢/ ١٣٤
١٨ـالطور:٣٠ ١٩ـ البقرة: ٢١٩
٢٠ـالبقرة: ٢٣٧ ٢١ـالمصدر السابق ، ص ١٣٦
٢٢ـعبدالرزاق بن خرا ج الصاعد ی ،تداخل الاصول اللغو یة واثره فی بناء المعجم،المدينةالمنورة: ص ١٤
٢٣ـالمصدر السابق، ص ١١ ٢٤ـ المصدر السابق،ص ١/ ٢٧
٢٥ـ السيوطی ، جلال الدين ، المزهر فی علم اللغة وانواعها، ص١٥٥ـ١٥٧
٢٦ـ ابوحاتم ، سهل بن محمدبن عثمان، السجستانی ، كتب الاضداد ،بيروت!دارالمشرق ـ١٩١٢، ص ٧٥
٢٧ـالبقرة:٤٥ ٢٨ـالحاقة:١٩ ٢٩ـالمصدر السابق، ص٧٢
٣٠ـالبقرة:٢٤٩ ١٣ـبنی اسرائيل : ١٠١ ٣٢ـالانبياء:٨٧
٣٣ـ محمد زغلول سلام ، اثر القرآن فی تطور النقد العربی إلی اخر القرن الرابع الهجری، ص ١٤٤
٣٤ـ ابو حاتم ، كتب الاضداد ، ص ٧٨ ٣٥ـالمصدر السابق، ص ٨٨
٣٦ـ المصدر السابق، ص ١١٥ ٣٧ـالمصدر السابق، ص ٩٨
٣٨ـال عمران: ١٨٨ ٣٩ـالمصدر السابق، ص ١٢٧
٤٠ـ محمد زغلول سلام ، اثر القرآن فی تطور النقد العربی إلی اخر القرن الرابع الهجری، ص ١٧٧
٤١ـ ابن فارس،احمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاسيس اللّغة،بيروت:دارالفكر،مادةردف ، ٢/ ٥٠٣
٤٢ ـالسيوطی ، عبدالرحمن الكمال،التحبيرفی علم التفسير،لاهور:دارنشرالكتب الاسلاميّة ١٤٠٢، ١/ ٤٠٢
٤٣ ـمحمد بن عبد الرحمن بن الصالح ، الفروق اللغويه واثرها فی تفسير القرآن رياض:مكتبه العبيكان١٤١٤ـ١٩٩٤،الطبعة الاولی ص ٢٠
٤٤ ـالزركشی ، البرهان فی علوم القرآن ، جلد ٤ ، ص ٩٣ ٤٥ ـالمصدر السابق،ص٩٤/٤
٤٦ـالرعد:٢١ ٤٧ـالرعد:٢١ ٤٨ـالفاطر:٢٨
٤٩ـالنمل : ١٠ ٥٠ـالنحل : ٥٠ ٥١ـالتكوير:٢٤
٥٢ـالبقرة :٨٩ ٥٣ـالاحقاف:٣٠ ٥٤ـالصافات: ١٠
٥٥ـالطور: ٢٢ ٥٦ـالواقعة: ٣٠ ٥٧ـمريم: ٧٩
٥٨ـ سبا: ١٣ ٥٩ـ النحل: ٥٠ ٦٠ـيٰسين: ٧١
٦١ـيٰسين: ٣٥ ٦٢ـالفيل: ١ ٦٣ـ الفجر:٦
٦٤ـابراهيم :٤٥ ٦٥ـالبقرة: ٢٥ ٦٦ـالحج: ٧٧
٦٧ البقرة: ١٤٨ ٦٨المومنون: ٤ ٦٩ـال عمران: ١٢١

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

۷۰۔التوبة:٤٦ ۷۱۔القمر: ٤٥ ۷۲۔المجادلة:۱۱

۷۳۔ال عمران:۲٦ ۷٤البقرة: ۲٦۹ ۷٥۔الحجر: ۸۷

۷٦الکوثر:۱ ۷۷۔طه: ٥۰ ۷۸۔الضحی: ٥

۷۹۔التوبة: ۲۹ ۸۰ ۔الزرکشی ، البرهان فی علوم القرآن ،ص:۹۲/٤.....۱۰۰

۸۱ ۔محمد بن عبد الرحمن، الفروق اللغویة وأثرها فی تفسیر القرآن الکریم ، ص ۱۲٥

۸۲۔الأنعام: ۱٤٥ ۸۳۔الزرکشی ،البرهان فی علوم القرآن ، ۱ / ٤٥

۸٤ ۔السیوطی ، عبد الرحمن بن الکمال ، جلال الدین، الاتقان فی علوم القرآن ،۱ /۸۳

۸٥ ۔المصدر السابق، ص ۸۹/۱ ۸٦۔ البقرة: ۲۳۲، المصدر السابق،ص ۸۹/۱

۸۷۔ النساء: ٦٥، المصدر السابق۔ص ۸۹/۱ ۸۸۔ یونس: ٥۷،

طاهر محمود بن محمدیعقوب ،دکتور أسباب الخطأ فی التفسیر ،ریاض:دارابن الجوزی الطبعةالاولی۱٤۲٥،۲/۱۰۱۰

۸۹۔ ابن تیمیه، احمد بن عبد الحلیم، مجموع الفتاوی ، ۷ / ۱۱٦

۹۰۔ مسلم بن حجاج ، القشیری ، صحیح مسلم ، کتاب صفات المنافقین وأحکامهم

۹۱۔المائده: ۹۳ ۹۲۔الطلاق: ٤ ۹۳۔ البقرة: ۱۱٥

۹٤۔التغابن: ۱٤ ۹٥۔التغابن: ۱٤ الزرکشی ، البرهان فی علوم القرآن ،ص ٥۰۔٥۳

۹٦۔ الذهبی ، محمد حسین ، التفسیر والمفسرون ، جلد ۲ ، ص ۳۳٥

۹۷۔ ابن تیمیه ، احمد بن عبدالحلیم ،مقدمه فی اصول التفسیر ،مصر۔مکتبةالتراث الاسلامی ۱۹۹۰، ص ٦۷

۹۸۔البقرة: ۱۸۹

۹۹۔ البخاری ، محمد بن اسماعیل ، صحیح البخاری ، کتاب التفسیر ، باب ولیس البر ، حدیث ٤٥۱۲

۱۰۰۔ ابی حیان ، محمد بن یوسف ، الاندلسی ، تفسیر البحر المحیط ، بیروت: دار الفکر ، ٦۳/۲

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.